

هل من عودة إلى الإسلام؟

انتخب قطاع واسع من الجزائريين رئيسا اختاروه بعد حملة انتخابية تنوعت فيها البرامج لتلبية الحاجات الاقتصادية وغيرها، لكنها انفتحت جميعها على المذهب القائل بأن ما لله الله وما لقيصر لقيصر، وما كنا لننتظر منها غير ذلك، فكل إناء بالذي فيه ينضح، هذه العقيدة العلمانية لا يجرؤ على إنكارها أحد، بعد أن صار نظام الدول المسماة بالإسلامية قائما عليها، منذ خروج جيوش الأوروبيين منها قبل نصف قرن.

لقد اصطبغت الدولة بالعلمانية وصبغت المجتمع بها، فهو يجعل الله - سبحانه - سويغات من نهار لا تتعدى الحياة الخاصة إلا استثناء، ومساحتها دائما في انحسار وتقهر، هذا ما تركوه الله ربهم وخالقهم وخالق السماوات والأرض، وأما نظام المجتمع بما فيه من تعقيدات ومشاكل فهو من اختصاص قيصر الذي يأكل الطعام كما يأكلون، ويتردد على بيت الخلاء كما يترددون، وينسى ويخطئ وتعترية الشهوات مثلهم، ولهذا القيصر المعبود من دون الله أبناء وأحفاد من المشرعين بعقولهم خلاف شرع الله.

وارتبط نظام هذه الدول بظهور تيارات مطالبة بالاحتكام إلى شريعة الله بدلا من الشرائع البشرية الوطنية أو المستوردة، هذه التيارات منها ما يتبع لتحقيق تلك الغاية نهج الديمقراطية، وهي الاحتكام إلى الشعب، وهي بهذا تفر من الكفر إليه، وهو سبيل أقل ما يقال عنه أنه لم يعرفه أنبياء الله في دعوتهم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فهل أذن الله لهؤلاء باتباع الكفر أثناء الدعوة إلى دينه؟! ألم يقرأوا قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تُكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾!؟

إن مثل هؤلاء كمثل الذي يستغيث بالأوثان لتعينه على نصرته دين الله، فهذه الدعوة عبادة ولا تصح عبادة إلا بنص، رغم أن التجارب تقول بأنهم لا يقيمون شرع الله، بل يكونون دوما ركنا من أركان النظام الخارج عن شريعة الله، يصفون عليه الشرعية، فيتمسكون بشرائعه التي تظلم جميعا، ولا يعملون إلا على أخلة السياسة بأخلاق المسلمين شيئا ما.

ومنهم من اتبع سبيل القتال لإقامة شريعة الله، وهذا القتال ليس محرما أصلا كالديمقراطية، ولكن يجب أن تتوفر أسبابه وتحقق شروطه وتتقي موانعه، كما هو مفصل في الكتاب والسنة، فهذا الفريق ظن أن الكفر محصور في النظام الحاكم، فحالفوا الشعب ضده، وهو تقسيم غريب لا دليل عليه، فإن السلطة ما هي إلا بنت الشعب، ولا فرق من حيث الاعتقاد أو العمل بين السلطان أو أي فرد من رعيته، فهذا يشرع وذاك ينفذ، وهذا يحكم وذاك يتحاكم، إن الحاكم الذي أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين بالخروج عليه إن أتى كفرا بواحا هو المسلم أصلا الذي يطرأ عليه الكفر بعد إسلامه، فمتى طرأ الكفر على الحكام وهم قد تربوا عليه منذ نعومة أظفارهم؟.

ومثل هذا يقال لمن يعتبرون الحكام و المحكومين مرتدين عن الإسلام، فراحوا يقاتلون الجميع بعد أن انتخبوا يوما على دعاة التطبيق المزعوم للشريعة عن طريق الديمقراطية، ثم انتخبوا بعدها على خصومهم المناضلين في سبيل العلمانية وصادقوا على دساتيرهم التي يعرضونها عليهم، وهي أسمى القوانين عندهم.

فعلا، إن من يعرض عن التحاكم إلى الله ولو مرة ويرضى بغيره فهو كافر بالله مشرك به، وإن كان الذي دعاه إلى حكم الله كافرا أيضا، مثل المنافق الذي دعاه خصمه اليهودي للاحتكام إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - طمعا في عدله فأبى المنافق، فمتى تبرأت هذه الشعوب من هذه الدساتير وفروعها وسائر النظم المخالفة لنظام الله ثم رجعت إلى الإيمان بها حتى يقام عليها حد الردة؟!!

إنه لا الشعوب ولا الأنظمة الحاكمة تعرف "لا إله إلا الله" وتدين بها، منذ أن كانت تعبد القبور من دون الله إلى أن صارت تعبد الطواغيت المشرعين من دون الله، و كيف يعرفون وعلمائهم يأمرون به ويحرضون على كل كفر سائد؟ كأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، أليس الأئمة

هم الذين حثوا الناس على الانتخاب؟! مستدلين بقول الله وقول رسوله، يلون أعناق النصوص ليا مفضوحا، كاحتجاجهم بأن من مقاصد الشرع إصلاح حياة الناس وتوفير الغذاء والأمن وغيرها، ويتناسون قول ربهم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

فانتخب الناس على حكام يسمعونهم يقولون بوجوب تعديل البقية الباقية من شرع الله التي تسمح بها دساتيرهم لأنها لم تعد تلائم عصر العولمة، وأنهم لا يمنعهم من ذلك إلا صعوبة تخطي "الحواجر التي يجب أن تقلب رأسا على عقب عند بعض الذهنيات التي لم تتخلص بعد من أمور تجاوزها الزمن" وبعضهم يقول بأن "الجزائر دولة جمهورية لا إسلامية، وأن الجمهورية يجب أن يكون قانونها مدنيا وضعيا" وعموما فإن أحوالهم تشرح ذلك أكثر قبل أقوالهم، فكفرهم عمل قبل أن يكون قولاً، أما الإسلام عندهم فيكفيهم أنهم يقولون: لا إله إلا الله!.

ثم خرج الناس إلى صلاة الجمعة فدعوا للحاكم الجديد بالتوفيق، ودعا الخطباء الناس إلى السمع والطاعة، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم:- (اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)؟

وكان القضية قضية لون الحاكم وجسمه، وكان الحديث جاء بلفظ: اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم من يحكمكم بشرائع الشيطان، مع العلم أنه وصفه بعدها مباشرة بقوله: (ما أقام فيكم كتاب الله!) ومما يزيدك عجباً وأسفاً أن إماماً لم ينس أن يقرأ في صلاته تلك: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، و لا أدري إن كان هذا إصراراً أو مغالاة في التمسيع لدين الله أم أنه يعتقد أن الكفر بالطاغوت يتحقق بالقول دون العمل.

ونحن لا نطالبهم بشيء جديد عليهم، ولكن ليعملوا فقط بما علموا، إنهم يدرسون في كتبهم أن أول شروط "لا إله إلا الله" هو العلم بمعناها المنافي للجهل كما هو منطلق الأشياء، ومع ذلك يعتقدون أن الناس قد حققوا "لا إله إلا الله" وهم يدعون القبور أو يؤمنون بحكم الجاهلية، ويدرسون في كتبهم أن "لا إله إلا الله" نفي وإثبات، فهي كفر بالطاغوت وإيمان بالله، ويدرسون في كتبهم أن الكفر بالطاغوت يقوم على أربعة أركان لها أدلتها في الكتاب والسنة، وهي اعتقاد بطلان عبادته وتركها وبغضها وتكفير عابديه، فهل قام الناس بهذا حتى يحققوا الإسلام و يكونوا مسلمين؟ وربهم يقرعهم بالفوارع: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يُتَّحَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ فهو لاء صدوا وأعرضوا فقط فكيف بمن حاربوا من دعاهم؟!.

فهلأ عرضوا أنفسهم على ما تعلموه؟ وهم الذين يتقدمون قومهم في الدنيا و الآخرة، فلينظروا أي مورد يوردونهم وليتركوا حجة فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾. إنه الإسلام أو الطوفان: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

نشرت في جريدة "رسالة الأطلس" العدد: 510.

30 جمادى الأولى 1425 هـ

8 جويلية 2004 م